١٠- سورة يونس

تثبيت النبي ﷺ

(١) عن أي موضوع تتحدث سورة يونس؟

هل تتحدث سورة يونس عن قصة يونس عليه السلام؟ الجواب: لا، لم تتحدث سورة يونس عن قصة يونس عليه السلام. لم تذكر قصته، بل ذكرت قومه مرة واحدة فقط (وفي آية واحدة فقط)، وهي: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (٩٨).

فالكلام هنا عن قومه، لأنه تركهم أصلًا وكان في بطن الحوت عند إيمانهم.

ذُكِرَ يونس عليه السلام في القرآن ٦ مرات: ٤ بالاسم الصريح في: النساء والأنعام ويونس والصافات، وذكر بالوصف في سورتين؛ في الأنبياء: ذا النون، وفي القلم: صاحب الحوت.

* **ذكرت قصته في**: الأنبياء والصافات والقلم، **وذكر الاسم فقط في**: النساء والأنعام ويونس.

يونس عليه السلام دعا قومه فلم يستجيبوا له، فتوعدهم العذاب بعد ثلاث، وتركهم وذهب مغضبًا، فلما رأى قومُه العذابَ لاموا أنفسَهم وتابوا، فكشف اللهُ عنهم العذاب، وكانت هذه خاصية لقوم يونس، قوم يونس هم المثل الوحيد للقوم الذين يتداركون أنفسهم قبل مباغتة العذاب لهم فيتوبون إلى ربهم، وهم وحدهم في تاريخ الدعوات الذين آمنوا جملة بعد تكذيب، فكشف عنهم العذاب الذي توعدهم به رسولهم قبل وقوعه بهم كما هي سنة الله في المكذبين المصرّين، ثم ما كان من ابتلاع الحوت ليونس، ثم أعاده الله إلى قومه وزادهم بركةً وعددًا وكانوا مؤمنين صالحين.

(٢) فتنزل السورة لتقول للنبي ﷺ (هو الآن وأصحابه في شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ):

اصبر، سوف تمر هذه المحنة، وهؤلاء الكفار سوف يؤمنوا كما آمن قوم يونس (وقد كان هذا في فتح مكة).

[والعجيب أن ذهب بعد ذلك للطائف، مين قابله؟ عداس، يفكروا بمين؟ بيونس، فما يأتي ملك الجبال يقول له أطبق عليهم الأخشبين قال: لا].

إذًا الرسالة هنا: اصبر يا محمد سوف يؤمن أهل مكة مثل قوم يونس.

سورة يونس: سورة البشارة، فأول السورة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ (٢)، وآخرها: ﴿وَاصْبِرْ﴾ (١٠٩).

الرسالة هنا: تثبيت النبي ﷺ وأصحابه في شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، تثبته وتواسيه وتمنحه السكينة والطمأنينة.

ففي آخر السورة: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ...﴾ (١٠٧) (احنا فين الآن؟ في فترة اشتداد المحنة على المسلمين وعلى النبي ﷺ في شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ)، ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ (١٠٩) (ليس كما فعل يونس، يونس لم يصبر).

(٣) رسائل أخرى للسورة:

١- التوبة قبل فوات الأوان.

بادر بالإيمان قبل فوات الأوان، قبل أن يقال لك: (الآن) كما قيل لفرعون، {لأن قوم يونس لحقوا، لكن أنت!}

[كلمة (الآن) لم تأتي في القرآن إلا في هذه السورة فقط].

٢- اللجوء إلى الله عند الشدائد.

٣- الإيمان طريق النجاة: ﴿لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ (٩٨).

٤- الصبر في مجال الدعوة: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ (١٠٩).

(٥) أسماء السورة:

١- الاسم التوقيفي: يونس.

٢- معنى الاسم: هو نبي الله يونس بن متى عليه السلام، أرسله الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل.

٣- سبب التسمية: لما تضمنته من العظة والعبرة برفع العذاب عن قومه حين آمنوا بعد أن كاد يحل بهم البلاء والعذاب، وهذا من الخصائص التي خصَّ الله بها قوم يونس.

٤- أسماء أخرى اجتهادية: لا يعرف لها اسم غيره.

(٦) من خصائص السورة (مما تتميز به السورة عن غيرها):

١- سورة يونس تعتبر -بحسب ترتيب المصحف- أول سور المئين.

٢- سورة يونس تعتبر -بحسب ترتيب المصحف- أول سورة تسمى باسم نبي، والسور التي سميت باسم نبي ٦ سور، هي: يونس، وهود، وإبراهيم، ويوسف، ومحمد، ونوح عليهم السلام.

٣- سورة يونس تشبه سورة الأنعام من حيث الموضوع والأسلوب، فكلتاهما تتناول حقائق العقيدة من حيث الجانب النظري، ومواجهة ومجادلة المشركين.

(٧) جدول السورة:

ترتيبها:	في المصحف: ١٠	في النزول: ٥١	في الطول: ١٠		
تصنيفها:	مكية: ٤/٨٦	المئون: ١/١١			
عدد:	الآيات: ١٠٩	الصفحات: ١٣,٥	٠,٦٥ جزء	١,٣ حزب	٥,٣ ربع
موقعها:	بدايتها في الجزء: ١١		نهايتها في الجزء: ١١		
فاتحتها:	حروف التهجي: ٤/٢٩	ثلاثة حروف: ٣/١٣	آلر: ١/٥		

(٨) مقصد السورة: تثبيت النبي ﷺ.

(٩) خرائط السورة: في ملف الخرائط.

(١٠) موضوعات السورة: آخر الملف.

(١١) علمتني سورة يونس:

١- **علمتني سورة يونس** ألا أيأس من دعوتي.

٢- **علمتني سورة يونس** أن أطيع الله وأنفذ ما يأمرنا به مهما شعرنا باليأس والتعب، لأنه سيأتي الفرج يومًا من عنده.

٣- **علمتني سورة يونس** أن الله حافظ عبده، فبقي يونس في بطن الحوت دون أن يموت، وقد أعاده الله للحياة.

٤- **علمتني سورة يونس** أن لا أتحرك خطوة بعد النعمة حتى أحمد الله: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ (١٢).

٥- **علمتني سورة يونس** أن لا أؤمل في الناس خيرًا أكثر من اللازم: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ﴾ (١٢)، فقد تحسن إلى إنسان فلا يكافئك على إحسانك، فلا تتعجب، فمن الناس من يكشف الله عنه الضر فيمر كأن الله لم يكشف عنه شيئًا، فإذا كان هذا تعامله مع خالقه فمن باب أولى أن يكون تعامله مع عبد مثله ومخلوق مثله أردى من ذلك وأسوأ.

٦- علمتني سورة يونس أن لا أيأس: ﴿وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن (كُلِّ) مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢٢)، فلو أوصدت (كل) الأبواب فهؤلاء الذين ذكرهم الله لما دعوه نجوا.

٧- علمتني سورة يونس أن لا أقلق؛ فالذي يدبر الأمر هو الله، حتى المشركين يعرفون ذلك: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٣١).

٨- علمتني سورة يونس أن الحق والباطل، والهدى والضلال، نقيضان لا يجتمعان: ﴿فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ (٣٢)، لأن النقيضين يمتنع أن يكونا حقين وأن يكونا باطلين في وقت واحد، بل متى ثبت أن أحدهما هو الحق، وجب أن يكون الآخر هو الباطل.

٩- علمتني سورة يونس أن من جهل شيئًا عاداه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ (٣٩).

١٠- علمتني سورة يونس أن القرآن موعظة وشفاء وهدى ورحمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٥٧).

١١- علمتني سورة يونس أن القرآن ذاته سبب كاف للفرح، بغض النظر عن كل ما يحيط بك من الآلام، أفرحك الله به: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨).

١٢- علمتني سورة يونس وجوب الاحتياط في الفتوى: ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٦٠).

١٣- علمتني سورة يونس أن الله وعد أولياءه بعدم الخوف وعدم الحزن: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢)، فلا خوف يعتريهم على ما هو قادم، ولا حزن يعتريهم على ما فات.

١٤- علمتني سورة يونس أن من آمن بالله واتقى فهو ولي من أولياء الله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٢- ٦٣).

١٥- علمتني سورة يونس النهي عن الحزن، والنهي عن لوازمه كالإكثار من محاولة تجديد شأن المصائب، وتعظيم أمرها، وبذلك تتجدد الآلام، ويصعب نسيانها: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ (٦٥).

١٦- علمتني سورة يونس أن كل قول لا دليل عليه فهو جهالة، وأن العقائد لا بد لها من دليل قاطع، وأن التقليد بمعزل من الاهتداء: ﴿إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٦٨).

١٧- علمتني سورة يونس أن التوغل في الشر والفساد والظلم يوجب الختم على القلوب؛ فيحرم العبد الإيمان والهداية: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٧٤).

١٨- علمتني سورة يونس أن السحر صاحبه لا يفلح أبدًا، ولا يفوز بمطلوب ولا ينجو من مرهوب: ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ (٧٧).

١٩- علمتني سورة يونس أن كل مفسد عمل عملاً، أو احتال كيدًا، أو أتى بمكرٍ، فإن عمله سيبطل ويضمحل، وإن حصل لعمله روجان في وقت ما، فإن مآله الاضمحلال والمحق: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١).

٢٠- علمتني سورة يونس أن الذرية والشباب أقبل للحق وأسرع له انقيادًا: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾

(٨٣)، بخلاف الشيوخ ونحوهم ممن تربى على الكفر، فإنهم بسبب ما مكث في قلوبهم من العقائد الفاسدة أبعد من الحق من غيرهم.

٢١- علمتني سورة يونس أن لا أترك موضع إبرة في قلبي فيه اعتماد على غير الله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ (٨٤).

٢٢- علمتني سورة يونس وجوب التوكل على الله تعالى لتحمل عبء الدعوة إلى الله والقيام بطاعته: ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٨٥).

٢٣- علمتني سورة يونس أنه إذا أجيبت دعوتي أن استقم: ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨٩).

٢٤- علمتني سورة يونس أن دعاء غير الله شرك محرم: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٦).

٢٥- علمتني سورة يونس أن ما أراده الله لي من خير أو شر لا يستطيع أحد دفعه ولا تحويله بحال من الأحوال: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ (١٠٧).